﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

(الثبات في الفتن)

بتاريخ [.....]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (الثبات في الفتن)

الخطبة الأولى:

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد...

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- «وشرُّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ». ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وبعد...

فإن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قال: «إنَّ بينَ يدي السَاعةِ أن يَكثُرَ الجهلُ وأنْ تَكثُرَ الفِتنُ». وصدق النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيما قال، فالفتن تزداد يومًا بعد يوم، فتن الشبهات، وفتن الشهوات، وفتن الانكباب على الحياة الدنيا بما فيها من ملذاتٍ ومتاع، فتن تكاد تعصف بابن آدم إلا من ثبته الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فتن الشهوات وفتن الشبهات تُلقى على المسلمين، وكذا فتن الانكباب على الدنيا والاغترار بها والغفلة عن الآخرة، ولا شك أن كل فتنةٍ لها مخارجٌ، مخارجها دائمًا وأبدًا من كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- ومن سنة رسوله الأمين محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ففيهما كل خير،

وفيهما كل نجاة، وفيهما كل سلامة وأمان، فجدير بمريد النجاة من تلك الفتن أن يلجأ إلى كتاب ربه وإلى سنة نبيه الأمين محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ففيهما كل خير.

فلنذكر بشيء من وسائل الثبات على هذا الدين حتى الممات، فمن ثبتَ عليه حتى الموت فقد زُحزِح عن النار وأُدخِل الجنة ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥)﴾ [آل عمران: ١٨٥]. ومن انتكس -عِيَاذًا بِاللهِ- فالنار مأواه وبئس المصير، إن ربنا ذكر قومًا يصطرخون فيها يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]. فيُجابون ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾. أي: أو لم نمد لكم من العمر عمرًا في دنياكم كان كفيلًا بأن يتذكر فيه من تذكر ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾. فقبل أن يأتي وقتٌ لا تُقبَل فيه العتبة فهي الدنيا أمامكم، فيها مُستدرَك وفيها مُستعتَب.

فإلى شيء من وسائل الثبات والسلامة من كتاب ربنا ومن سنة نبينا ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)﴾ [الذاريات: ٥٥]. أولًا ومن وسائل الثبات وأعظمها وأجلها: سؤال الله ذلك، فهو الذي يثبت القلوب، وهو الذي يقلبها -عَزَّ وَجَلَّ- فلزمنا أن نسأل ربنا الثبات، دائمًا وأبدًا نسأل الله الثبات، لذا كان من دعاء نبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يا مقلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبِي على دينِك، ويا مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قَلبي إلى طَاعَتِك». وكان من دعاء أولي الألباب: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)﴾ [آل عمران: ٨]. فليكن هذا لنا دعاء، ولنكثر من هذا الدعاء «يا مقلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبِي على دينِك، ويا مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قَلبي إلى طَاعَتِك». ليكن من دعائنا ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. فنحن لا نملك قلوبنا التي في صدورنا، بل الله يملكها، ولقد قال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]. هكذا قال تعالى، أي: أنه لا تسلط لك يا ابن آدم على قلبك الذي في صدرك، بل الذي يملكه هو الله.

قد تفطن لهذا المعنى خليل الرحمن إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لما قال لقومه: ﴿وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ [الأنعام: ٨٠]. أي: لا أخشى أصنامكم التي تعبدون ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾. أي: إذا شاء الله أن أخشى أصنامكم لخفتها ورهبتها. وأيضًا فهم نفس المعنى النبي الكريم شعيب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لما قال لقومه: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ٨٩]. أي: في ملتكم ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا﴾. ففهم أن الله هو الذي يشاء وهو الذي يُقدر.

فلزمنا جميعًا أن نخبت لله وأن نسأله الثبات حتى الممات، ولقد كان النبي يذكر بذلك في أيمانه فكان من أكثر أيمانه: «لا ومُقلِبِ القلوبِ». كانت أكثر أيمان النبي «لا ومُقلِبِ القلوبِ». تذكيرًا بأن الله هو الذي يُقلبها وهو الذي يثبتها، فالذي يشرح الصدور للخير هو الله، والذي يفتحها للإيمان وهو الله، فجدير بنا أن نسأل الله الثبات، ثم كتاب الله بين أيديكم فيه النجاة وفيه الهُدى والنور، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

فهذا الكتاب العزيز آياته بصائر نستبصر بها، آياته نورٌ نستنير بها، من أعرض عنها ومن جهلها فهو أعمى يتخبط، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (١٩)﴾ [الرعد: ١٩]. فجديرٌ بكل مريد للنجاة أن يلجأ إلى كتاب الله ينظر فيه أمره، ينظر فيه أبواب سلامته وطرائق أمنه، فهذا كتاب الله فيه أمر بتقوى الله، تلك التقوى التي يجعلها الله -عَزَّ وَجَلَّ- سببًا في كل خير ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢)﴾ [الطلاق: ٢]. مخرجًا من كل ضائقةٍ تنزل به ومن كل بلية تحل به، فصنائع المعروف في أوقات العافية والرخاء تقي مصارع السوء عند نزول البلاء، صنائع المعروف وأنت سوي صحيح معافى يقيك الله بها مصارع السوء إذا حل بك نكد

وبلاء ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)﴾ [الطلاق: ٤]. ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥)﴾ [الطلاق: ٥]. ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩]. ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فرأس كل خيرٍ تقوى الله الذي منها أن تراقب الله في سرك وفي علانيتك، التي منها مراقبة الله في السر والعلن، ثم حسن الاعتماد على الله وحسن التوكل عليه، فرب العزة يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق: ٣]. ومن يتوكل على الله، يعتمد عليه، ويحسن الالتجاء إليه وإن أخذ بالأسباب فهذا المتوكل على الله يكفيه الله من كل شر أهمه ومن كل بلية نزلت به.

سنة النبي الأمين محمد فيها سلامة من كل فتنة، وهي مبينةٌ للكتاب العزيز، لقد قال الصحابي أبو بكرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: لقد نفعني اللهُ بكلمةٍ سمعتها مِن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يومَ أنْ ماتَ كسرى، فولى الفرسُ ابنةَ كسرى عليهم، سمعتُ النبيَ يقولُ: «لن يُفلحَ قوم ولوا أمرَهم امرأة، فلما قُتِل عثمان، وبويعَ لعلي، وجدتُ عائشة، وطلحة، والزبير -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- أتوني للخروجِ معهم إلى واقعة الجملِ، أتوني فنظرتُ فإذا على القومِ عائشةُ، فتذكرتُ قولَ النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسلام- لن يُفلحَ قومُ ولوا أمرَهم امرأة». فماذا كان؟ رجع طلحة مقتولًا، رجع الزبير مقتولًا، رجعت عائشة تقول: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣)﴾ [مريم: ٢٣]. فسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيها نجاة وفيها سلامةٌ.

ومن طرائق النجاة المذكورة في كتاب الله انتقاء أهل الفضل وأهل الصلاح لمصادقتهم، انتقاء أهل الفضل وأهل الصلاح لمجالستهم فإنهم زاد مُدخَر، يرشدونك إذا أخطأت، ويصوبونك إذا ضللت، ولقد قال الكليم موسى -عَلَيْهِ سَّلَامُ اللهِ-: ﴿هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥)﴾ [طه: ٣٠-٣٥]. فجليسك الصالح يعينك الله به

على كل خيرٍ، إذا غفلت ذكرك، إذا شردت قربك «وهم القومُ لا يشقَى بِهم جَليسُهم». لذا فإن ربي أمر أنبيائه الكرام بمجالسة أهل الصلاح بغض النظر عن فقرهم أو عن غناهم، بغض النظر عن مناصبهم أو وضاعتهم، بغض النظر عن وجاهتهم من عدمها، أمر الله أنبيائهم بمجالسة أهل الفضل وأهل الصلاح.

قال تعالى لرسوله الأمين محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]. لا تصرف نظرك عنهم ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)﴾ [الأنعام: ٥٢]. ولقد قال نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لما قال له قومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤)﴾ [الشعراء: ١١١-١١٤]. فسبيل من سبل النجاة عظيم انتقاء الجليس الصالح تجالسه تراه يذهب يومًا لوصل رحمه فتتذكر أنك للرحم قاطع، فيهيجك صنيعه الحسن على وصل رحمك، تخوض في الحديث فتنظر إليه فإذا به رطب اللسان بذكر الله فتستحي من نفسك أنك خواض في الأعراض وخواض في القيل والقال وهو يقول: لا إله إلا الله، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فتستحي من نفسك كيف وأنك تغتاب وهو يحصل الباقيات الصالحات سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تراه يأخذك يومًا يقول لك: فلان مريض، تعالَ نعوده. فتذهب معه فإذا به يواسي المرضى، ويتبع الجنائز، ويحنو على المساكين، فتتعلم منه كل ذلك، وأعظم من ذلك أن تتعلم منه الفقه في الدين.

لقد زار سلمان الفارسي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أبا الدرداء وكان النبي آخى بينهما، فرأى وقبل نزول الحجاب أم الدرداء متبذلة، قال: «ما شأنك غير مهتمة؟ قالَتْ: أخوك أبو

الدرداءِ ليست له في الدنيا رغبة. فأسرَها سلمان في نفسِه، وجاءَ وقتُ النومِ، نامَ أبو الدرداء مع سلمان، فقامَ أبو الدرداء مِن الليلِ يصلي، فقالَ له سلمان: نمْ الآن. تعجبَ، أقولُ لك: قمْ نصلي. تقولُ: نمْ الآن! فنام توقيرًا لسلمان». فسلمان عالم من العلماء «ثم لبثَ برهةً، وقامَ يصلي، قالَ سلمان: نمْ. فنام، ثم قامَ يصلي فقالَ سلمان: نمْ. فنام، فلما كانَ آخر الليلِ قالَ له سلمان: قمْ الآن نصلي. فصليا، فقالَ له سلمان: يا أبا الدرداءِ، إنَّ لربِك عليك حقًا، وإنَّ لنفسِك عليك حقًا، وإنَّ لأهلِك عليك حقًا، وإنَّ لضيفِك عليك حقًا، فأعطِ كل ذي حقٍ حقَه. أصبحَ أبو الدرداءِ ذاهبًا إلى النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يقصُ عليه ما رآه مِن سلمان وما سمعَ، قالَ النبيُ: صدقَ سلمان، نعم، إنَّ لربك عليك حقًا، وإنَّ لنفسِك عليك حقًا، وإنَّ لزوجِك عليك حقًا، وإنَّ لضيفِك عليك حقًا، فأعطِ كُلَّ ذي حقٍ حقَه». أسس الاقتصاد تؤخَذ من هذا، تؤخذ من كتاب الله ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]. ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩)﴾ [الإسراء: ٢٩].

هكذا صديقك الصالح تنتفع به، تراه قائمًا يدعو فتتعلم من دعواته، إن زكريا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من الله عليه بكفالة مريم إذ كانت يتيمة -عَلَيْهَا اَلسَّلَامُ-، من الله عليها وعليه بكفالتها، هي استفادت من خُلق النبوة الطاهر الكريم ومن بيت النبوة الطاهر الكريم بيت زكريا، ونشأت في المحراب، وتربت، وشبت شبابًا حسنًا، ولتقواها كان زكريا ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]. يسألها: ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾. من أين تأتيك فاكهة الصيف ونحن في الشتاء؟ من أين تأتيك فاكهة الشتاء ونحن في الصيف؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. فماذا كان؟ استفاد زكريا من هذه المجالسة ومن تلك المقولة، علم أن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴿هُنَالِكَ﴾ [آل عمران: ٣٨]. أي: في هذا التوقيت وفي هذا الوقت ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾. لما رأى مريم يأتيها رزقها

بلا تعبٍ ولا كد ولا مشقة، فاكهة شتاء تأتيها في الصيف، وفاكهة صيف تأتيها شتاء، سأل ربه: يا رب أنت قادر، أنت ترزق من تشاء بغير حساب ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾. فماذا كان؟ بُشِر بيحيى نبيًا سيدًا حصورًا ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩)﴾ [آل عمران: ٣٩]. رُزِق بيحيى ببركة الدعاء، وهيجته مريم -عَلَيْهَا اَلسَّلَامُ- على هذا الدعاء.

فالجليس الصالح لك نافع، لك مذكرٌ، ولقد سمعتم قول الله في الحديث القدسي: «هم القومُ لا يشقَى بِهم جليسُهم». أما جليس السوء فمجلسه نكد، مجلسه شؤم، مجلس نحس مستمر -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، إن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ذهب إلى عمه أبي طالب في مرض موته يلقنه كلمة لعله ينتفع بها، فوجد عنده أبا جهل وغير أبي جهل من مشركي قريش، قال له: «يا عمِّ، قلْ: لا إلَه إلَّا اللهُ. كلمةٌ أُحاجُ لك بِها عِندَ اللهِ. فقالَ أبو جهلٍ: يا أبا طالبٍ، أترغبُ عن مِلةِ عبد المطلبِ؟ فما زالَ النبي يكررُ قلْ: لا إلَه إلَّا اللهُ. والشقي يقولُ: أترغبُ عن مِلةَ عبد المطلب؟». فماذا كان؟ «قالَ آخر ما قالَ: هو على مِلةِ عبد المطلب». فماذا كان من وراء هذا المجلس؟ «إنَّه في ضحضاحٍ يغلي مِنهما دماغُه «ضحضاحٍ مِن نارٍ يلبسُ شِراكين مِن نارٍ يغلي مِنهما دماغُه». أبد الآبدين ودار الدائرين لا يموت فيها ولا يحيى، كل ذلك بسبب مجلس النحس المستمر الذي حضره شيطان إنس ألا وهو أبو جهل وغيره.

فيا عباد الله، انتقوا أهل الفضل، انتقوا أهل الصلاح، ابتعدوا عن أهل الشر، ابتعدوا عن أهل الفساد، إن النبي قال: «مَثَلُ الجلِيس الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ: كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحًا طيِّبةً، ونَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خبيثةً». إن من النجاة من الفتن أن تقرأ القرآن متدبرًا وأن تستمع إلى المواعظ التي فيه، آية واحدة قد تزهدك في الدنيا وتعمل لآخراك فتغنم الدارين معًا، إن عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- صعد المنبر، فذكر الناس ببعض الآيات آيات قليلة مختصرة ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ

سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧)﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧]. هكذا تلا هذه الآيات المباركات ونزل ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧)﴾. فهب يا عبد الله أنك في دنياك أكلت كل ما تشتهيه، ولبست كل ما تريد، وتزوجت كل حسناء تريدها، وركبت أجمل المراكب، وتقلدت أكبر المناصب، فعلت ما بدا لك في دنياك، ثم جاءك الموت هل أغنى عنك ما كسبت؟ هل أغنى عنك سلطانك؟

إن ربنا ذكر قومًا يقول أحدهم: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩)﴾ [الحاقة: ٢٨-٢٩]. فهم هذا المعنى الكليم موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لما أتاه ملك الموت ففقأ موسى عينه، فرجع إلى ربه: «يا ربِّ، أرسلتني إلى عبدٍ لا يريدُ الموتَ، وقد فقأ عيني. فردَ اللهُ إليه عينه، وقالَ له: اذهبْ إليه فقلْ له: يا موسى، ربُّك يقولُ لك: ضَعْ يدَك على مَتْنِ ثورٍ». أي: على جلد ثور «ولك بكلِ شعرةٍ غطتها يدُك سنةٌ تَعيشُها». يعني: إذا غطت يده مليون شعرة له مليون سنة. «فقالَ موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: وماذا بعد ذلك؟ قالَ: بَعد ذَلِك الموتُ. قالَ: فمِن الآن إذن». إذن ما دام الموت هو النهاية «فمِن الآن إذًا». وهكذا فهم الكليم موسى.

فتدبرك الآيات من كتاب ربك تعقل حقيقة ما أنت فيه، إذا قرأت ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]. تعلم حقيقة ما أنت فيه، فقد خُلِقت ضعيفًا تبكي كما ترى أبنائك وكما ترى بناتك، ضعيفًا تبكي، تجوع لا يشعر بك أحد، تتألم لا تملك إلا البكاء، لا تملك إلا البكاء، تقوى ويشتد ساعدك، في صغرك أبوك يحتضنك ويدور بك عند الأطباء، تقوى ويشتد ساعدك، وبعد تؤول إلى الذبول، وتؤول إلى الانحناء، وتؤول إلى ضعف البصر.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾. ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩)﴾ [الأعراف: ٢٩]. كما ولِدت طفلًا لا تعلم ولا تفقه أصبحت شيخًا كبيرًا مخرفًا، لا تدري ما تقول كما كنت طفلًا، تبول على نفسك، ويؤتى لك بالحفاظات، تصبح شيخًا طاعنًا في السن تبول على نفسك ويؤتى لك بالحفاظات، كما كان الطفل يريل على فمه وعلى ثيابه وأنت كبير تصبح هكذا تريل على ثيابك وتتغوط على نفسك، التكاليف تسقط عنك تكليفًا بعد تكليف، كما كنت طفلًا صغيرًا لست مكلفًا بالصيام تصبح شيخًا مخرفًا لست مكلفًا بالصيام، تصبح مخرفًا طاعنًا في السن، تسقط عنك الصلوات وأنت لا تدري ما الصلاة، تصلي الظهر عشرًا، وتصلي الصبح واحدة، وتجزم للناس أنك صليت صلاة صحيحة، وفارق بين هذا الذي حدث لك في كبرك والذي حدث لك في طفولتك، فوأنت طفل أهلك يهتمون بك، أما وأنت شيخ كبير فالكل يريد منك أن تموت، الكل لا يطيقك، الكل لا يتحملك، وأنت طفلٌ أهلك يدورون بك عند الأطباء راجين لك الشفاء، أما وأنت شيخٌ فالكل حتى الطيبون، حتى الصالحون، حتى المحبون يسألون الله لك أن تُقبَض للمشقة التي يرونك عليها، فهكذا في الدنيا معتبر.

ففي كتاب الله مخرج، وفي كتاب مدكر، وفي كتاب الله معتبر، فيا عباد الله اعتبروا، وادكروا، واتعظوا، وانظروا إلى تقلبات الدنيا وأن الحياة لا تثبت على حالٍ ولا تقر على قرارٍ، وكذا أنتم لا تثبتون على حال ولا تقرون على قرار.

يَسُرُّ الفَتى طولَ السَّلامَةِ والبقَا ... فكيف تَرى طُول السَّلامةِ يَفعلُ

يَرُدُّ الفَتى بَعْد اعتدَالٍ وصِحَّة ... يَنُوء إذا ما رامَ القيامُ ويُحمَل

أحسن من قال:

قد أصبحت أرى الاثنين أربعة ... والأربعة اثنين لما هدني الكبر

ألا ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ [نوح: ١٠].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والإسلام على رسول الله.

وبعد...

فيقول الله -جَلَّ ذِكْرَهُ-: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩)﴾ [الانشقاق: ١٩]. ومن معاني الآية الكريمة: لتمرن بكم أحوال يا بني آدم حالًا بعد حال، ذُكِرت بعض هذه الأحوال في تقلبنا في دنيانا من ضعفٍ إلى قوةٍ، ثم من قوة إلى ضعف وشيبة، وكذا من تقلبات الدنيا تقلبك فيها من فقرٍ إلى غنى، ومن غنى إلى فقر، من تقلد منصب إلى الزوال عنه، ومن الزوال عنه إلى تقلد منصب أعظم، هكذا تتقلب الحياة الدنيا لوعظ العباد لتذكير العباد ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)﴾ [الأنبياء: ٣٥]. أنت اليوم معافى صحيحٌ مبتسم، غدًا مريض غدًا باكٍ، من الذي أضحك وأبكى؟ من الذي أمات وأحيا؟ من الذي أصح وأسقم؟ إنه الله -سُبْحَانه- الذي أغنى وأقنى، وأضحك وأبكى، وأمات وأحيا، إنه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

فإذا كانت الأمور كذلك، وربنا كما قال عن نفسه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩)﴾ [الرحمن: ٢٩]. ومن شأنه كما قال الجماهير من العلماء: أن يعافي مريضًا، أو يمرض صحيحًا، أن يفك عانيًا، أن يفك أسيرًا، أو يوقع آخر في الأسر، من شأنه يرفع ويخفض، يعز ويذل، يكرم ويهين، يُغني ويفقر، إذا كان هذا هو شأن ربنا يُميت ويُحيي، يصحح ويمرض، فخذ يا عبد الله من صحتك لمرضك، ومن غناك لفقرك، ومن شبابك لهرمك، إذا كنت عند المشيب لا تستطيع فعل الطاعات فقدم عند الشباب طاعات يثبت لك أجرها وإن عجزت عنها في كبرك، فربك يقول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦)﴾ [التين: ٦]. أي: غير مقطوع. إذا مرضوا أو تقدم بهم السن أجرهم ثابت، أجرهم متواصل أجر الخير الذي كانوا يعملون الطاعات التي كانوا يقدمونها.

أيُّها الإخوة، في كتاب الله مخارج من كل ما نحن فيه مخارج من الشبهات، قال -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: «يا عائشةُ، إذا رأيتي الرجلَ يَتركُ المُحكَمَ ويَتبعُ المُتشابِهَ فأولئك الذين سمى اللهُ فاحذروهم». وتلا: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]. مخارج من الشهوات «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ». إن الكليم موسى آجر نفسه ثمان سنين من أجل عفة فرجه، إن نبينا محمدًا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قبل أن يتزوج بامرأة ثيبٍ تكبره بخمسة عشر عامًا، تزوجت قبله برجلين وهي خديجة، قبل ذلك من أجل عفة فرجه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

فمن كل فتنة مخرج، المخرج في كتاب الله ومخرج في سنة رسول الله، فيا أيُّها الإخوة، ستُسألون عن كتاب الله، يقينًا ستُسألون عن كتاب الله وعن سنة رسول الله، وسيُنادى أقوام يوم القيامة ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥)﴾ [القصص: ٦٥]. فلا يكن جوابك يا ربي ما دريت ما الذي جاءت به الرسل، لا يكن جوابك يا ربي ما أعلم ما الذي قلته في كتابك وما الذي جاء به رسولك، إن قومًا ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ (٦٦)﴾ [القصص: ٦٦]. فلا تكن منهم، فتفقه في دينك تؤجَر، تعلم كتاب ربك تؤجَر، تعلم سنة نبيك تؤجَر، ها هي العطلات الدراسية أقبلت، فادفعوا بأبنائكم إلى تعلم كتاب ربكم، ادفعوا بأبنائكم إلى المساجد التي هي بيوت الله التي فيها الهدى والنور يتعلمون أمر الله، يتعلمون سنة رسول الله، فأنتم عن أنفسكم وعن رعاياكم مسؤولون «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

اللهم أعنا على أداء الأمانات إلى أهلها، اللهم مسكنا بالعروة الوثقى حتى نلقاك، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أعلى جنة الخلد، اللهم ألحقنا

بالمُنعَم عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، من علينا بالفردوس يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين.

أيُّها الإخوة، سلوا الله أن يرحم موتاكم وموتى المسلمين، فقد حيل بينهم وبين الأعمال الصالحة فلم يعد يصل إليهم منكم إلا دعوة صالحة، أو استغفار، أو صدقات جارية، أو عمل بر، فقدموا لهم شيئًا ينفعهم الله به، سلوا الله أن يرحم أمواتكم وأموات المسلمين، وأن يشفي مريضكم ومريض المسلمين، وأن يفك عانيكم أسيركم وأسير المسلمين، وأن يقضي الدين عنا جميعًا وعن المدينين.

أيُّها الإخوة، صلاتكم وسلامكم يصل إلى نبيكم محمد، فمعكم ملائكة تشهد هذه الجمع، تشهد هذه الجمع، تستمع إلى الخطب، تسجل الداخل أولًا بأول، وملائكة أخرون يحملون صلاة المصلين على رسول الله إلى رسول الله، يقولون: فلان ابن فلان يصلي عليك ويسلم يا رسول الله، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إنَّ لله ملائكةً سَيَّاحين يُبَلِّغوني مِن أُمَّتِي السَّلامَ». وقال: «ما مِن مسلمٍ يسلِّمُ عليَّ إلَّا ردَّ اللهُ عليَّ روحي حتَّى أردَّ عليْهِ السَّلامَ». ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ألا وأقم الصلاة.

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابط الخطبة:

https://www.youtube.com/watch?v=b١LSsSy٦IZQ&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=١٧٢

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share